

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة

محاضرات مقياس:

مصادر التاريخ الإسلامي

موجهة لطلبة السنة ثانية حضارة

أستاذ المقياس:

الدكتور الجباري عثماني

المرجع: محاضرات في مقياس مصادر التاريخ الإسلامي، الدكتورة سناء عطابي

ج/- المصادر التاريخية والوثائق الرسمية:

ونقصد بها كل المؤلفات التي أراد بها أصحابها حفظ إنجازات الذين سبقوهم وعاصروهم على وجه العبرة وتسجيل الأحداث، أو ضبط تراجم الرجال وطبقاتهم ومؤلفاتهم وعصورتهم وغيرها مما يسهل للأمة معرفتهم، ويسهل للعلماء التعرف على مؤلفاتهم ورواياتهم وسندهم. على هذا الأساس فإننا سوف نتبع أهمية هذه المصادر حسب ظهورها تاريخياً.

1/- كتب السير والمغازي:

ارتبطت المعرفة التاريخية عند المسلمين بالسير النبوية الشريفة، وذلك بالبحث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والرجوع إلى الأحاديث النبوية المتصلة بالبعثة والدعوة والهجرة والغزوات أو المغازي كاصطلاح عرفت به المؤلفات التي تعنى بتدوين السيرة النبوية، وقد كان موطنه الأول المدينة المنورة¹؛ "ولم يختص أحد بالتأليف في المغازي قبل القرن الثاني للهجرة في مواطن أخرى غير المدينة. وذلك الارتباط بالأحاديث الذي ترك أثراً لا يمحو في أسلوب التأليف التاريخي بالاعتماد على الإسناد يفسر التغيير البالغ الذي ظهر منذ ذلك الحين في الصفات المميزة لرواية حوادث التاريخ وتمحيصها عند العرب"²

وعليه يعتبر نمط الكتابة التاريخية المرتبط بسيرة صلى الله عليه وسلم ومغازيه من أهم، بل من أول ما اهتم به المسلمون عند بداية التأسيس للفكر التاريخي في الحضارة الإسلامية، وإن ضاعت الكثير من المؤلفات³ التي اهتمت بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيعتبر ابن هشام بأخذه عن سيرة ابن اسحاق

1 - طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 240.

2 - جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981م، ص 53-54.

3 - يقول الصفدي في هذا السياق: "... فأول من صنف في المغازي عمرو بن الزبير رضي الله عنهما ثم موسى بن عقبة ثم عبد الله بن وهب، ثم في السير ابن اسحاق ورواها عنهم جماعة منهم من زاد ومنهم من نقص، فمنهم زياد بن عبد الله البكائي شيخ عبد الملك بن هشام مختصر السيرة، وسلمة بن الفضل الأبرش ومحمد بن سلمة الحراني ويونس بن بكير الكوفي. وعمل أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كتاب الروض الأنف في شرح السيرة المشار إليها، ووضع عليه شيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي كتاباً سماه بلبل الروض، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد سيرة مطولة ثم دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي شيخ مسلم ثم دلائل السرقسطي، ثم دلائل الحافظ أبي نعيم في سفرين ثم دلائل النبوة للنقاش صاحب التفسير، ودلائل النبوة للطبراني..." يراجع: الصفدي صلاح

أفضل من ترك لنا مصدرا هاما يرصد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأهم الأحداث التي ارتبطت بنشأة الدولة الإسلامية الأولى¹.

ويمكن معرفة أهمية هذا النوع من المصادر في كتابة التاريخ الإسلامي أنها " كانت استجابة لحاجة ثقافية/اجتماعية في المجتمع المسلم الذي أراد أفراده الوقوف على تفاصيل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله التاريخية. وتنقلنا المغازي للمرة الأولى إلى الكتابة التاريخية بالمفهوم الحديث لأنها كانت تبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وسراياه، وتجمع في الوقت نفسه أخبار الأحداث التاريخية الأولى التي واكبت قيام الأمة الإسلامية مثل الهجرة إلى الحبشة والمدينة، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحكام المعاصرين... " ².

أهم مؤلفات السيرة والمغازي³:

- المغازي النبوية لابن شهاب الزهري (124هـ/841م): محدث اشتهر بالتوثيق أخذ عنه العديد من العلماء بعده مثل مالك بن أنس والأوزاعي، رغم علاقته ببني أمية إلا أن ذلك لم يسقط من ثقته ومرجعيته في رواية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم⁴.

الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، بيروت: مكتبة إحياء التراث العربي 1420هـ/2000م، ص28-29.

¹ - للتوسع والتفصيل حول موضوع المغازي وأشهر مؤلفيها ينظر: يوسف هورفتنس، المغازي الأولى ومؤلّفوها، ترجمة حسين نصار، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1424هـ/2001م.

² - قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.

³ - محمد العادل لطيف، "كتب الطبقات: نشأتها وأصنافها إلى أواخر القرن الرابع للهجرة ودورها في البحث التاريخي"، نشر ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، جامعة منوبة، تونس، 2012م، ص 131-133/ وقد أكد أحد الباحثين على أنه لم تصلنا أخبار مؤكدة على أن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبييل بن سعد كانت لهم مؤلفات بعينها حول المغازي، لكن من المؤكد أنهم جمعوا وأخرجوا مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: يوسف هورفتنس، المغازي الأولى، مرجع سابق، ص 22، 24، 38، 42.

⁴ - ينظر: هورفتنس، المرجع نفسه، ص79-84/ محمد العادل اللطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص131.

- سيرة محمد بن اسحاق (150هـ/767م)¹.
 - كتاب السير، لأبي اسحاق الفزاري (186هـ/802م).
 - مغازي الواقدي محمد بن عمر (207هـ/822م).
 - السيرة النبوية لعبد الملك ابن هشام (218هـ/833م) وهي نسخة مهذبة ومختصرة من سيرة ابن اسحاق.
 - القسم الأول من كتاب الطبقات لابن سعد (230هـ/845م).
- ومن جهة أهم، فإن دراسة مثل هذه المصادر يوقفنا على:
- القواعد الفكرية والسياسية التي تأسست عليها الحضارة الإسلامية بجميع مستوياتها، ومختلف الأسس التي وضع الفكر السياسي والاقتصادي فيما بعد؛ فكتب السيرة ذات أهمية واسعة ومباشرة للباحثين في كتابة تاريخ الفترة المبكرة من الإسلام، وتاريخ الدعوة الإسلامية عموماً.
 - أما الباحث في الفترات الموالية لهذه الفترة فيحتاجها بشكل غير مباشر وذلك لفهم التطورات التاريخية وأسبابها والظروف التي أدت إلى حدوثها، وهو ما يدرج ضمن الجذور التاريخية لكثير من القضايا التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.
 - الترتيب الزمني للقوانين والشرائع التي حكمت الدولة الإسلامية في نشأتها الأولى، خاصة أن رواة السير والمغازي يدرجون الآيات التي نزلت مع كل حادثة ويذكرون الأحاديث في مواطنها المكانية والزمانية.
 - أخبار عن العاصمة الأولى لدولة المسلمين، والتنظيمات السياسية والإدارية التي اعتمدها الرسول صلى الله عليه وسلم في تسيير دولته.
 - روايات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الإسلامية الناشئة.
 - البدايات الأولى لنمو الفكر الثقافي ملازماً لنزول القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

¹ - اعتبره النديم من أشهر من كتب في السير والمبتدئ والمغازي، ينظر: النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ص 105/ إيرلينغ ليدوك بيترسن، علي ومعاوية في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 65 وما بعدها.

- تمكنا مصادر المغازي من معرفة الأماكن والمسالك والمنازل والمواقع في مكة والمدينة والمناطق المجاورة لها، وتقدم لنا وصفا جغرافيا للأماكن التي اتصلت بأحداث غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه، خاصة أن منهم من يعاين هذه الأماكن ويعتمد على المشاهدة ليقدم وصفا صحيحا وحقائق مضبوطة حول رواياته، ويعتبر الواقدي نموذجا لذلك من خلال ذكر الأماكن ومواقعها وأبعادها من المنازل التي قبلها والتي بعدها¹.

- تفيدنا مصادر المغازي في معرفة وتتبع إسلام الصحابة ومشاركاتهم في كل الأحداث التي ارتبطت بالسيرة مثل: الدعوة والهجرة وفتح مكة وغيرها، كما تفيدنا في تراجم الكثير منهم إذ نجد في ثنايا المؤلفات ما يفيد في تاريخ الوفيات والإنجازات التي قاموا بها، هذا من جهة ومن جهة أخرى توقفنا على إشارات هامة حول أنسابهم وأنساب القبائل والجماعات والأفراد الذين يفدون على الرسول صلى الله عليه وسلم طلبا للإسلام أو الصلح وغيرها².

ومن جهة أخرى فإن الباحث تصادفه الكثير من العوائق المنهجية في تعامله مع مثل هذه

المصادر، منها:

- اختلاطها بالأحاديث فيصعب الفصل بينها وبين الأحداث التاريخية.
- حضور السند بشكل واسع يفرض على الطالب التدقيق والحذر قبل أخذ المعلومات حتى لا تختلط عليه مع أحداث السيرة.
- اختلاطها بالروايات والأساطير خاصة أن النفس تذهب إلى إضفاء القداسة، ونوع من القصص التي ترفع من مكانة الشخصيات العظيمة التي تقوم بكتابة سيرتها، حتى لو كان ذلك يتنافى مع العقل، مثل حكاية بحيرا الذي التقى به الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاد الشام وغيرها.

¹ - للاطلاع على المنازل والمسالك التي ذكرها الواقدي في مغازيه، ينظر: عبد العزيز بن سليمان بن ناصر السلومي، الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية 1425هـ/2004م، ج2، ص726-846.

² - المرجع نفسه، ج1، ص 276-279.

- اهتمامها بالشخصية الدينية للرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من التأريخ للوضع العام الذي ارتبط بنشأة دولة الإسلام الأولى.
- لم تذكر الأحداث التاريخية بشكل مباشر، بل تحتاج إلى خبرة الباحث ليقوم باستنتاجها.
- كل المعلومات والحقائق التي وصلتنا عن السيرة والمغازي عبارة عن وجهات نظر فردية تطغى عليها فكرة واتجاه الراوية، خاصة منها التي تعود إلى العصر الأموي، وهو العصر الذي ظهرت فيه الفتن والطوائف والمذاهب، ومن أمثلة ذلك: "مغازي الزهري فقد تحدث الزهري بنفسه عن سبب تدوينه المغازي والعامل الموجه لأخبارها فقال: قال لي خالد القسري - وهو والي مكة آنذاك - اكتب لي السيرة. فقلت له: إنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، فقال: لا إلا أن تراه في قعر الجحيم. فكتب الزهري مغازيه ولم يذكر عليا على الإطلاق"¹.

2/- كتب الفتوح:

وقد أدرجناها هنا لعلاقتها الوطيدة بفكر المغازي، فإذا انتهت المغازي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حركة الفتوح جاءت في سياق التوسع الذي عرفت به دولة الإسلام في العهد الراشدي والأموي خاصة، باعتباره عصر الفتوحات والعصر الذي عرفت فيه رقعة الإسلام أوج توسعاتها وأكبر مساحاتها.

وقد أوجدت هذه الحركة الواسعة نمطا جديدا في الكتابة التاريخية لم يكن معروفا من قبل، وذلك بتكون ثلثة من الإخباريين ممن يهتمون بجمع الروايات التي تتعلق بظروف فتح البلدان وتدوينها أو على الأقل نقلها، إلى المهتمين بذلك²، خاصة أن قضايا العصر ومسائله الشائكة أصبحت تفرض اهتماما

¹ - صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدوينها ونقدا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام، ط2، بيروت: مركز الغدير 1429هـ/2008م، ص 57-58.

² - قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.

بهذا الميدان المعرفي، فالفقه وبناء الأحكام الشرعية لأهل الذمة والضرائب والمغارم الشرعية وغيرها يفرض معرفة دقيقة بفتح الأراضي وطرق ضمها إلى أراضي الخلافة الإسلامية¹.

ويعتبر القرن 2هـ/8م الفترة التي نضجت فيها الكتابة التاريخية حول الفتوحات وذلك على يد مجموعة من الإخباريين والمؤرخين مثل: عوانة بن الحكم (147هـ/764م)، أبو مخنف الأزدي (147هـ/764م)، سيف بن عمر (180هـ/796م)، اسحاق بن بشر (206هـ/821م)، وقد دون الواقدي (207هـ/822م) كتباً في الفتوح² واشتهر بها.

ويعد كتاب: "فتوح البلدان" للبلاذري (279هـ/892م) أشهر هذه المؤلفات وأهمها، فقد اهتم بافتتاح الأقاليم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية عهده³.

وتكمن أهمية هذا النوع من المصادر في:

- معرفة الأحداث الكرونولوجية للفتوحات الإسلامية.
- تسجيل دور القبائل التي ساهمت في فتوحات البلدان والتأريخ للقادة والأبطال ممن قاموا وساهموا في ذلك، والوقوف على الإقطاعات التي منحت لهم، ومناطق استقراره والتحويلات الاجتماعية والعمرانية التي حدثت نتيجة لذلك.
- تحوي هذه المصادر - مثل فتوح البلدان للبلاذري - الكثير من العهود والمواثيق التي تعقد بين الفاتحين وأصحاب الأقاليم المفتوحة خاصة زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم⁴.

¹ - صفاء حافظ عبد الفتاح، البلاذري ومنهجه في كتاب فتوح البلدان، القاهرة: (ددن)1991م، ص 45.

² - مصطفى شاكرا، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط3، بيروت: دار العلم للملايين 1983م، ج1، ص164.

³ - محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية 40-922هـ/661-1516م، بيروت: مؤسسة الرسالة 1408هـ/1988م، ص16/ نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية، مرجع سابق، ص37.

⁴ - محمد ماهر حمادة، المرجع نفسه، ص16.

- تحديد طرق الانضمام إلى دولة الإسلام لما له من أثر مباشر على الموارد الاقتصادية مثل: الخراج والجزية والتنظيمات الإدارية والمالية مثل: الدواوين والخاتم والسكة والخط العربي والقرطيس والنقود وغيرها¹، فالدولة المفتوحة صلحا والمفتوحة عنوة تختلفان في مقدار الخراج، كما أن أهل الذمة ممن احتفظوا بدينهم لهم مقدار معين من الجزية وغيرها.

- معرفة مساحة المناطق المفتوحة.

- تحديد الغنائم وكيفية توزيعها وبالتالي الوقوف على موارد بيت المال.

- الوقوف على الخيرات الطبيعية والموارد البشرية، للمناطق التابعة لدولة الإسلام.

- معرفة العادات والنظم الاجتماعية السائدة في البلدان المفتوحة والتغيرات الحادثة مع دخول الإسلام وانتشاره على المستوى الديني والثقافي والعمراني².

- الوقوف على آليات وطرق انتشار الإسلام في العالم خاصة خلال العصر الوسيط.

- ومن الناحية السياسية قد تفيدنا كتب الفتوح في تحديد علاقة السلطة بالأطراف المفتوحة والاستراتيجيات العسكرية لضمان ولائها وارتباطها بالخلافة الإسلامية³.

أما عن **العوائق** التي تعترض المؤرخ فتتلخص في أن هذا النوع من الكتب تختلط في المادة التاريخية بالمادة الاقتصادية المرتبطة بإحصائيات الأراضي ومقادير الخراج وغيرها وهو ما يخدم البحوث الاقتصادية دون البحوث التي تبحث في المجال السياسي والعسكري، ومن ناحية أخرى فإنها تحمل التفاصيل المتعلقة بالفتوحات بدقة وكل ما تعلق بالجيش وانتصاراته وهزائمه وغيرها مما يحتاجه المؤرخ في رصد أحداث

¹ - نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر 1417هـ/1996م، ج1، ص ص.

² - نقلا عن مقدمة تحقيق: المصدر نفسه.

³ - نقلا عن مقدمة المصدر نفسه.

الفتوحات خاصة أن هذا النوع من الكتابات التاريخية كثيرا ما تتسلل إليه الأساطير والقصص الخيالية التي ترفع من شأن الفاتحين أو من شأن الأراضي المفتوحة¹.

3/- كتب الأنساب:

يعتبر علم الأنساب فرعاً مهماً من فروع الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين، ذلك أن العرب اهتمت بأنسابها منذ العهد الجاهلي، وأخذ منحى هاماً بعد اعتلاء الأرستقراطية العربية السلطة²، أو استفادتها من امتيازات ومناصب إدارية في المناطق المفتوحة بالإضافة إلى مشاركتها في الأحداث الهامة وبالتالي ضرورة أخذ حصتها من الغنائم والأعطيات³ وغيرها ما يستوجب ضبط مسألة النسب لتضبط معها الكثير من المسائل الإدارية والمالية، كما أن مسألة العصبية والشعوبية وادّعاء النسب الشريف وغيرها من الأمور كانت حافزاً هاماً للاهتمام بهذا النوع من التأليف.

ذكرت مصادر التراجم على غرار كتاب الفهرست العديد من الإخباريين والنسابة الذين اشتهروا بمعرفتهم وتضلّعهم في هذا العلم مثل: دغفل النسابة، النسابة البكري، ولسان الحمرة، صحار العدي والشرقي بن القطامي، صالح الحنفي وابن الكوا وأبو النصر محمد بن السائب الذي يتقدم الناس بالعلم بالأنساب (ت146هـ/763م)، والقرقي (ت155هـ/771م)، عوانة بن الحكم⁴، كما أشار لبعض المؤلفات في هذا النوع من المعرفة التاريخية مثل: كتاب أخبار تميم وكتاب النسب الكبير لأبي يقضان

1 - يقول قاسم عبده قاسم في هذا الشأن: "فإن كتب الفتوح تحمل مشكلات كثيرة حول التواريخ والأحداث والأشخاص المشاركين فيها تحير الباحثين إلى اليوم"، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.

2 - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت: دار الكتب العلمية (دت)، ص 144-145.

3 - رتب الخليفة عمر بن الخطاب بطون قريش حسب قربها من الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ بالعباس، ثم بني هاشم، ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة مراعيًا الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد، ينظر: مصطفى شاكر، التاريخ العربي، ص 189-190/ إسماعيل سامعي، علم التاريخ عند العرب والمسلمين دراسة في المنهاج والمصادر، قسنطينة: المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية (5) 2013-2014م، ص 148.

4 - النديم، الفهرست، ص 101-103، 107، 108/ مصطفى شاكر، التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 190-197.

النسابة، و كتاب النسب لسعيد بن الحكم بن أبي مريم¹، وقد أشاد النديم بهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت206هـ/821م) ونعته بعالم الأنساب، له العديد من الكتب في البيوتات والمآثر وهي كلها كتب أنساب وله اهتمام بنسب قريش وبطونها خاصة أهمها كتاب النسب الكبير²، ويليه الهيثم بن عدي وهو من أصحاب هشام بن السائب الكلبي له بالأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب³ وذكر غيرهم كثير.

مؤلفات في الأنساب⁴:

- جمهرة أنساب العرب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (206هـ/821م)
- "مختلف أسماء القبائل ومؤلفها" لمحمد بن حبيب البغدادي (245هـ/859م)
- "أنساب الأشراف" لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (279هـ/892م)
- "مشتبه النسبة" لعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري (409هـ/1013م)
- "الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط" لمحمد بن طاهر المقدسي (507هـ/1113م)
- "اقتباس الأنوار" لأبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله الرشاطي (542هـ/1147م)
- "الأنساب" لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (562هـ/1166م)
- "اللباب" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (630هـ/1232م)
- "الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب" لقطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى
الدمشقي الشافعي (894هـ/1488م)

لها النوع من المصادر أهمية واسعة من كل الجوانب التاريخية التي يبحث فيها الطلبة والباحثون، منها:

1 - النديم، الفهرست، ص107.

2 - المصدر نفسه، ص108-109.

3 - المصدر نفسه، ص112.

4 - نقلا من مقدمة تحقيق الكتاب: السمعاني، الأنساب، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (دب): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (دت)، ص3-7.

- أعان النسابون الدراسات التاريخية بما قدموا من معلومات عن أصحابها، خاصة أنهم توسعوا في معلوماتهم بسبب انتشار التيار الشعوبي، فكان هذا الأمر دافعا للتوسع في طبقات القبائل وأشرفها، فأصبحت معلوماتهم توازي ما قدمته لنا كتب الطبقات والسير التي اشتهرت في المدينة¹.

- من الناحية السياسية نجد لهذه المصادر أهمية واسعة في الاطلاع على أنساب القبائل والأسر الحاكمة²، وإثبات صحة نسبها إذا ادعت نسبا شكك فيه بعض المؤرخين، كما تقدم لنا المصادر التي تتحدث عن أنساب الأشراف مفهوما للشرف ومراتبه في المشرق واستغلاله في المناصب والعطاء والغنائم، وطرق اكتسابه بالولاء والثروة وغيرها³.

- وفي المجال السياسي أيضا تفيدنا هذه المصادر في معرفة دور الجماعات⁴ والقبائل في صياغة الأحداث العامة والخطيرة في عصورها، والوقوف على دقة التفاصيل وأسماء الأفراد ودورهم السياسي والعسكري، بدلا من أن نأخذ المعلومات بعمومها من مصادر الحوليات التي تركز على دور الحاكم في صنع الحدث التاريخي.

- أما من الناحية المنهجية والعلمية فهذه الكتب اعتمدت طريقة الإسناد التي ساهمت بشكل كبير في معرفة مصادر المؤرخ، ومدى مصداقية معلوماته هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعطينا هذه المصادر فكرة عن المؤرخين والإخباريين والرواة السابقين لصاحب الكتاب، وأحيانا عناوين لمصادر قد تكون مفقودة أو تساهم في نسبة بعض المؤلفات المجهولة لأصحابها⁵.

1 - مصطفى شاكر، التاريخ العربي، مرجع سابق، ص173.

2 - نقلا عن مقدمة تحقيق: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص ض.

3 - أفرد البلاذري جزءا كاملا لأخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام، ينظر: أنساب الأشراف، ج3/ نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جمهرة أنساب العرب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب، دار النهضة العربية 1407هـ/1986م، ص10.

4 - نقلا عن مقدمة تحقيق: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص ض.

5 - ينظر مثلا: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، في أغلب صفحات الكتاب/ راضي دغفوس، "مصادر البلاذري في كتاب أنساب الأشراف: بعض النماذج من الإخباريين"، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، أشغال الملتقى الدولي السادس (28-30/04/2010م)، تونس 2011م، ص 13-34.

- إن المطلع على كتب الأنساب يدرك القيمة الاجتماعية لهذه المصادر من خلال معرفة التركيبة القبلية لمجتمعات العرب والمسلمين قبل وبعد الإسلام ومواطن نزولها وسكناها، بالإضافة إلى المكانة والشرف والمستوى المادي، كما تمكننا من إثراء علم الأسماء (طوبونيما) بمعلومات ومعطيات حول أسماء القبائل والأفراد رجالاً ونساءً والبطون والأماكن¹. وكثيراً ما نجد في مثل هذه المصادر حكايات وقصص² في ثنايا التعريف بالقبائل تمكننا من الوقوف على بعض العادات والتقاليد، والحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية عموماً.

4/- كتب الحوليات والمؤلفات الإخبارية

تنوعت الكتابة التاريخية عند المسلمين، وأخذت أشكالاً متعددة ساعدت الباحثين والدارسين وعموم الطلبة على معرفة أحداث التاريخ الإسلامي، ومكنتهم من كتابة دراسات عن جوانبه من خلال المادة الخبرية التي تضمنتها.

قبل التحدث عن أهمية هذه المؤلفات وكيفية الاعتماد عليها، من الضروري الوقوف على أشكالها:

الحوليات: لغة الحول سنة بأسرها والجمع أحوال وحوول وحوؤل³، ومن هذا المنطلق اللغوي فإن كتب الحوليات تعنى بتسجيل أحداث التاريخ الإسلامي على حساب السنين، أي أن كل سنة تسجل فيها أحداثها ثم تليها السنة الأخرى فيقال: ودخلت سنة كذا...

وأصبح بذلك "علم التاريخ الحولي شكلاً تخصيصياً من علم تاريخ السنين، وهو كما يدل اسمه يخضع لتعاقب السنين المفردة، فكانت مختلف الحوادث تعدد في كل سنة مثل: في سنة كذا، أو: ثم جاء في سنة كذا أما الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها فكانت في الغالب تبين بطريقة سهلة وهي إضافة هذه الجملة: وفيها (أي في السنة نفسها)"⁴

¹ - ينظر مثلاً: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جمهرة أنساب العرب، ص246/ البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص39.

² - ينظر: البلاذري، المصدر نفسه، ج1، ص54-56/ هشام بن محمد بن السائب الكلبي، المصدر نفسه، ص135.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص1054.

⁴ - فرائز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص101-102.

ورغم ما يقال إن المنهج الحولي عرف في الحضارات السابقة¹ إلا أن المسلمين اتبعوه انطلاقاً من التراكمات المعرفية التي جمعت في القرنين الأول والثاني، كما أن السجلات والدواوين كانت تحفظ عن طريق السنوات المؤرخة اعتماداً على التقويم الهجري الذي اتبع منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تتبع الطريقة نفسها فليس من الغريب أن نجد هذه الفكرة تحمرت وأثمرت في الفكر التاريخي الإسلامي، وأصبحت نموذجاً فريداً ومشتهراً عندها.

ويعتبر الطبري² (ت 310هـ/922م) رائد المنهج الحولي، لكنه لم يكن أول من اتبعه³، وإنما يعزى ذلك إلى الهيثم بن عدي (207هـ/822م) والواقدي (207هـ/822م) وخليفة بن خياط (240هـ/854م)؛ فهم أول من كتب "التاريخ على السنين"، وقد تطور هذا المنهج بعد الطبري على يد ابن الجوزي وابن الأثير⁴ بجمع أحداث الموضوع الواحد وترتيبها على السنين، بدل ما تبقى كل الحوادث موزعة على السنة الواحدة.

ومن الضروري التنبيه إلى أن نموذج الحوليات لم يكن الوحيد بل أن هناك الكثير من الكتب والمدونات التي حفظت لنا الأحداث التاريخية على شكل الموضوعات.

1 - يرى كل من كلود كاين وجون سوفاجي أنه من المؤكد أن العرب تأثروا بالفرس في اعتماد المنهج الحولي على الرغم من غياب الأثر الذي يثبت ذلك، ينظر: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1998م، ص 57.

2 - أعتبر الطبري نموذجاً هاماً لنضج المعرفة التاريخية في الحضارة الإسلامية من خلال استفادته من تجارب سابقه وإكماله لأعمالهم ومجهوداتهم في التدوين التاريخي على غرار يعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، كما أنه مهد الطريق والمنهج السليم لمن جاء بعده مثل المسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون...، نقلاً عن مقدمة التحقيق: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف (دت)، ج1، ص 21.

3 - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص 102.

4 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، بيروت: دار القلم، ص 127/ فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص 100.

- **الموضوعات:** وذلك بجمع الأحداث المترابطة وتصنيفها في عنصر واحد تجمع بينه عناصر الحكمة والقصة، أي أن التسلسل هو السمة البارزة ضمن عناصر هذه الكتب، وهي الأفضل من حيث التعبير عن الظاهرة التاريخية بشكل متواصل دون تشتيتها على عدد السنين.

يلتزم المؤرخ في الغالب طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام، أي تبعاً لتعاقب السلالات والأسر الحاكمة، ومن المؤرخين الذين اعتمدوا هذه الطريقة: أبو حنيفة الدينوري في كتابه "الأخبار الطوال"، واليعقوبي في كتابه "التاريخ"، وأبو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"، وابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، وابن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وذلك للتأريخ للدول، بينما اعتمد آخرون طريقة التأريخ للخلفاء مثل: الصولي في كتابه "أخبار الراضي والمتقي بالله" وقد تمت الإشارة إلى هذا النوع ضمن عنصر السير والتراجم¹.

اعتمد الباحثون والدارسون تقسيماً آخر لطرق التدوين التاريخي عند المسلمين، بحيث هناك نوعين من المؤلفات²:

- **كتب التاريخ العام:** وهي كتب تركز على النشاط السياسي للعرب والمسلمين على اعتبار المركزية والعالمية في كتابة التاريخ الإسلامي، بالتركيز على الخلافة الأم والدويلات التي عاصرتها، بشكل حولي أو موضوعي، مثل الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك، وابن خلدون في كتابه العبر.

- **كتب التاريخ المحلي:** ظهر هذا النوع من التأليف حسب الظروف السياسية والثقافية التي ولدتها الحركة الاستقلالية للشعوب المستوطنة على أطراف الدولة الإسلامية خاصة في العصر العباسي وما صاحبها من انتماء قومي محلي وسياسي لدويلاتها وبقاء ولائها الروحي والديني للمركز. وقد كان للتنافس

¹ - ينظر: محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 141-142.

² - للمرجعة ينظر: محمد عبد الكريم الوائلي، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، ط3، بنغازي: منشورات قان يونس 2008م، ص 291/ صائب عبد الحميد، علم التاريخ، ص 151-154/ عبد الرحمن الحسين العزاوي، التاريخ والمؤرخون في العراق 334-447هـ/945-1055م، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1993م، ص 131-245.

الحضاري دور في بروز المؤرخين المهتمين بالتأليف حول عصورهم وحواضرهم والدويلات أو الخلفاء الذين عاصروهم. وقد اشتهرت العديد من المؤلفات مثل: فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

تعتبر كتب الحوليات والسياسة¹ والإسطوغرافيا عموما من أكثر المدونات التي تزخر بها المكتبات والخزائن العربية وغير العربية²، فقد تركت لنا الحضارة الإسلامية خلال العصور الزاهرة زخما هائلا من المصادر التي عنت بحفظ تراث دولهم وعصورهم وحتى الأماكن الجغرافية التي لم يعرفونها، لكن شعورهم بالانتماء إلى هذه الوحدة الجغرافية والسياسية والدينية جعلهم يحفظون لنا تاريخ غيرهم من الدول والعصور التي تربطهم بهم علاقة روحية ومادية.

إن أهمية هذه المصادر تزداد كلما كان صاحبها شاهدا على الحدث ومدونا لتقارير عايشها، وتفاعل مع تفاصيلها وتقل أهميتها كلما كان المؤلف مجرد ناقل، وعلى العموم فإن الباحث في التاريخ الإسلامي بحاجة إلى هذه المؤلفات لأنها:

- ترصد للطالب والباحث عموما الأحداث التاريخية السياسية بدقة، وبشكل متصل قليلا ما ينقطع، وبإمكان الطالب رسم صورة متسلسلة نوعا ما عن الأحداث التاريخية التي يبحث فيها.

1 - إن كانت السياسة تعني رعاية مصالح الناس وفقا لما يقتضي الشرع وما تقتضي أحوال الناس من أحكام وأفعال تجري في ذلك المجرى، فإن المقصود بمصادر السياسة هي المصادر والكتب التي تؤرخ للسلطان ودوره في رعاية الأمة وكل ما اتصل بها من أحكام ونظم واحداث وإنجازات وغيرها... وكل ما يتصل بذلك من حيث تفكير المؤرخ في حفظ القصص للعبير والافتداء إن اقتضى الأمر، أي أن هذا النوع من المصادر يعنى بالتاريخ السياسي والعسكري بنسبة كبيرة جدا.

2 - لقد أحصى السخاوي ميادين التأليف التي أسهب فيها العرب والمسلمون على مدى العصور الإسلامية المشرقة في مجال التاريخ، وذكر 40 صنفا من الأصناف والطبقات التي اهتمت بها أقلام المؤرخين مثل: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والفقهاء والقراء، والملوك والوزراء، والعامه، والمجانين والعقلاء... للتوسع ينظر: شمس الدين السخاوي، محمد بن عبد الرحمان بن محمد، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت: دار الرسالة 1407هـ/1986م، ص142-143.

- تميزت مؤلفات الحوليات والمصادر الإخبارية بقوة الاعتماد على السند، فقد أشاد الباحثون بصحة الروايات والأخبار الواردة لدى الطبري حتى أنه أكد على أن ما تم الوقوف عليه إثباتا بالسند ولم يقبله العقل، أدرجه في كتابه تاريخ الرسل والملوك لتقديم حجة السند على مضمون النص¹.
- دونت لنا كتب التاريخ العام والحوليات معلومات هامة عن أخبار الصحابة ودولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وتنظيماته، وأسهمت في هذه المسائل وفصلت في أحداثها، وحفظت لنا روايات ونصوص لم تصلنا مصادرنا خاصة: تاريخ الملوك والرسل لمحمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (630هـ/1232م)، وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (748هـ/1347م) والبداية والنهاية لابن كثير (774هـ/1382م)².
- تبرز هذه المؤلفات طبيعة الحياة السياسية: الحاكم ودوره السياسي، العسكري، والحضاري، السلطة الإدارية ونظام الحكم، طبيعة الحكم، تفاصيل السياسة، القوانين السياسية المعتمدة، حاشية السلطان...، إذ أن الأهم بالنسبة لأصحابها التفصيل في حياة السلطان وإنجازاته.
- تهتم هذه المؤلفات قبل التطرق إلى شخصية الحاكم أو السلطان وإنجازاته وأدواره السياسية والعسكرية، بسرد صفاته "الخلقية والمعنوية، وصفاته الجسمانية، وأحيانا قوائم بأسماء أولاده ونسائه وموظفيه، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين له"³.
- رصد نظم الحكم المتبعة، ونظام الشورى إن وجد أو الاستبداد إذا كان طاغيا في عصر معين، مع التطرق إلى رجال الحكم والإدارة من وزراء وكتاب وولاة وغيرهم.

¹ - عبد الحليم عويس، فلسفة التاريخ نحو تفسير إسلامي للسنن الكونية والنواميس الاجتماعية، القاهرة: دار الصحوة 1432هـ/2011م، ص99-100.

² - مروان فياض مرعي النعيمي، مصادر السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 262.

³ - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 143.

- مظاهر الاستقرار والاضطراب في الدولة (مثل العلاقة بين العاصمة وباقي الولايات، ثورات الخارجين عن الدولة، مظاهر الولاء والعداء...).
- الاهتمام بالجانب العسكري: الحروب - المعارك - الأسلحة - عدد القتلى - الفتن - الحصون - القلاع.
- التأريخ للعلاقات فيما بين الدول المعاصرة لها سواءً كانت سلمية دبلوماسية أم عسكرية حربية، مثل إشارات إلى علاقات الخلفتين الأموية والعباسية مع الدولة البيزنطية.
- إبراز دور السلطة في تأسيس المدن وتشبيد العمران دون التفصيل فيه، وفي طرق بنائه والمسؤولين عن ذلك.
- توفير معلومات حول علاقة السلطة بالعلماء وأصحاب المذاهب.
- تقديم معلومات عرضية حول القبائل واسماؤها والتكوين الاجتماعي في بعض الدول مثل: الموالي والعرب...

على أنه تواجه الطالب بعض الصعوبات والعوائق المنهجية أثناء الاستفادة من هذه المصادر منها:

- اعتماد الرواية وتقسيم الحادثة على السنين فيصعب جمعها وأحيانا تفتقد للروابط الزمنية والتسلسل والتواصل بالنسبة للحادثة الواحدة، لذلك وجب على الباحث عموماً أو الطالب تتبع موضوعه حسب إطاره الزمني ويبحث عن المعلومات المتعلقة به في كل سنة من السنوات التي ترتبط ببحثه¹، وقد انتقد ابن الأثير ذلك وحاول تجاوزه في كتابه الكامل في التاريخ².
- تعظيم بعض الأحداث والإنجازات وإضمار أخرى حسبما يخدم سيرة السلطان، وهذا ما يدفع الباحث إلى الانتباه لما يكتبه مؤرخو السلطة والمقربون من الحكام، فالكثير منهم يقع تحت

¹ - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص133/ فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص100.

² - محمد أحمد الترحيني، المرجع نفسه ص133-134.

ضغطهم¹ فيؤدي به ذلك إلى إخفاء حقائق أو المرور على الحدث دون التفصيل فيه، وأحيانا تعظيم دور بعض الشخصيات وطمس دور أخرى فيكون ذلك سببا لتزييف الرواية والوقوع في المغالطات التاريخية.

- إهمال التأريخ للمعارضة، إلا ما نعت منهم بالكفر والإملاق والخروج عن الملة، وما ذكر في الغالب متعلق بالمعارضة السياسية مثل: الخوارج والشيعة، لكن حركات وانتفاضات الفلاحين والحرفيين فتدخل في إطار المسكوت عنها واللامفكر فيه².

- إهمال التأريخ للطبقات الوسطى والعامية في المجتمعات المشرقية الوسيطة.

- تغييب الأطراف الفاعلة في صنع الأحداث، والكثير من الإنجازات ونسبتها إلى الحكام والسلاطين والولاة دون إفادتنا بأسماء العلماء، والقادة والجنود، والمهندسين والبنائين، وخبراء حساب الخراج والأراضي ومسؤولو الدواوين...، وكل المعلومات التي تسمح للباحث بتكوين فكرة صحيحة ومكتملة عن الموضوع الذي يبحث فيه.

- شح المعلومات المتعلقة بالواقع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي وكل ما يذكر يأتي عرضا وفي سياق التأريخ للسلطة، دون إعطاء أهمية لهذه المجالات باعتبارها المحرك الأساسي لقوة الدولة وضعفها.

- سرد الأحداث دون تحليلها وربطها بالظروف السائدة آنذاك.

- ندرة المعلومات حول المستوى العلمي والثقافي للشعوب والحضارات ومدى رعاية السلطان للمشاريع العلمية ومبادراتها في النهضة الفكرية بالمجتمعات المشرقية إلا ما يأتي عرضا.

- يدعو كثير من الباحثين إلى ضرورة تطبيق المنهج العلمي الدقيق (التحليل، النقد، الاستقراء، العقل...) على روايات الإخباريين، ذلك أن جزءا كبيرا من الأخبار باطلة افتراها بعض الكذابين، ونقلها الرواة مع ما نقلوه دون أن يشيروا إلى بطلانها، كما أن عددا كبيرا من الأخبار

¹ - صائب عبد الحميد، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 57-58.

² - محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2004م، ص 7.

الصحيحة لم تسلم من تخليط الرواة وأوهامهم، بل تعرضت للتغيير والتبديل حتى انحرف الخبر عن صورته الأصلية¹.

- تساهل بعض المؤرخين في رواية الأخبار باعتبارها لا ترقى إلى قيمة الحديث النبوي الشريف، ومنهم: الواقدي، وابن الكلبي، خليفة بن خياط وغيرهم ...².
- الحذر من النصوص المتأخرة والتي كتبت بعد فترة طويلة من وقوع الحدث، فقد يكون طراً عليها التغيير بسبب النسيان أو الاختصار أو الإضافة، وهي كلها عوارض تقلل من قيمة الخبر التاريخي³.

5/- كتب الطبقات والتراجم

أخذ نموذج السير اهتمام المسلمين منذ العهود الإسلامية الأولى، ذلك أن التأليف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كأهم شخصية في تاريخهم وحضارتهم جعلهم يستمرون في الاهتمام بكل من اقتفى أثره من الصحابة والتابعين والعلماء؛ بل إن الأمر تعدى إلى كل من أخذ اهتمام العرب والمسلمين خاصة الشعراء والأطباء وحتى المغنيين وغيرهم.

وقد بلغت الكتابة في هذا النوع من المؤلفات شأوها في العصور الإسلامية، حتى أنه اعتبر التدوين في نمط التراجم بأشكالها النوع الغالب على الكتابة التاريخية⁴، ومن هذا المنطلق تأخذ هذه المصادر أهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ومناقشة وتصحيح قضاياها الأساسية. ويظهر ذلك في ربط بعض المؤرخين فكرة التاريخ بالترجمة للأعلام الهامة في الحضارة الإسلامية.

1 - عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، المدينة المنورة: مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، 1422هـ/2001م، ص30/ محمد رشاد خليل، المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، القاهرة: دار المنار 1984م، ص8-10.

2 - عبد الله بن سالم الخلف، المرجع نفسه، ص40.

3 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، ص100.

4 - المرجع نفسه/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ط3، القاهرة: دار المعارف (دت)، ص5-6.

1/5- مفهوم التراجم وسيرورتها في الحضارة العربية الإسلامية:

لغة التراجم هي الطريقة، ولها نفس المدلول اللغوي للسيرة، فسيرة فلان هي طريقة حياته، وهي الحالة التي عليها الإنسان، لكن المؤرخين اعتادوا أن يسموا الترجمة بهذا الاسم حين لا تطول نفس الكاتب فيها، وإذا طالت سميت سيرة¹، ويبدو أن هذه المفردة أعجمية دخيلة على اللغة العربية، استعملت في القرن 6هـ/12م عند ياقوت الحموي².

أما اصطلاحاً: فقد عرف بعض الباحثين التراجم على أنها: " ذلك النوع من الأنواع الأدبية، التي تتناول التعريف بحياة شخص أو أكثر، تعريفًا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه، وتبعاً لثقافة المترجم ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة ودقيقة من مجموع المعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم³."

ولم يختلف الباحثون في كون التأريخ عن طريق التراجم عند المسلمين منبثق من تتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثمة الاهتمام بكل الشخصيات التي تستحق أن تحفظ سيرتها وتكتب ترجمتها للغاية الأخروية مثل العبرة، أو الغاية الدنيوية لتعرف عن طريقها علوم وفنون ومعارف يستغلها الإنسان

1 - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص28/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من القرن (5-8هـ/11-14م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2008م، ص4.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص9/ نبيلة عبد المنعم داود، "فن التراجم في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد 2011م (4)، ص28.

في حياته¹ لذلك وصلتنا مؤلفات خاصة بتراجم عصر واحد، أو تراجم لأرباب الصنعة الواحدة²، بينما وضع آخرون اعتبارات أخرى أدت بالمؤرخين للتأليف في هذا اللون من المعرفة التاريخية.

2/5- أشكال التراجم وأنواعها³:

إن الاستفادة من هذا النوع من المصادر يحتاج إلى تصنيفها وتحري أطرها المعرفية، وأهداف المؤرخين من تأليفها لوضعها في سياقها التاريخي لتوظيف نصوصها بشكل صحيح، هذا إذا انطلقنا من مبدأ أن أصحابها إنما ألفوها خدمة لأفكار متعددة فعلى الباحث هنا أن ينتبه إلى ذلك، ويعرف أنواعها.

أول: الأنواع التي اتفقت عليها المصادر والمراجع هي **سيرة الرسول** صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت أعلاه؛ ويبدو أن أمر السير والترجمات لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه إلى نماذج متعددة، وشخصيات مرتبطة به بسيرورة رسالته لدى الإنسانية، منها: سير الصحابة والتابعين ورواة الحديث، وهذه الفئة الأخيرة أخذت حظها الواسع من بين كتب التراجم لارتباطها الوثيق برواية الحديث ومعرفة الثقات وعدالتهم، وتمحيص سلسلة الرواة لتصنيف الأحاديث وتحديد مراتبها. قد يكون ذلك السبب الذي

1 - ينظر مثلاً: فرانز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص142/ محمد العادل لطيف، "كتب الطبقات: نشأتها وأصنافها إلى أواخر القرن الرابع للهجرة ودورها في البحث التاريخي"، نشر ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: **النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات**، جامعة منوبة، تونس، 2012م، ص 130-133/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص4.

2 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص171.

3 - لقد ذكر الصديقي مجموعة من الأصناف التي ترجم لها، وهي تعبر عن فكرة سابقه أو المجموعات التي اهتموا بتصنيف لها: "فأحببت أن أجمع تراجم الأعيان من هذه الأمة الوسط، وكَمَلَة هذه الأمة التي مد الله لها تعالى أفضل الأوقى وبسط، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل علم وأوتاده، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب، وفرسان كل معرك، لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب... فلا أغادر أحدا من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة والأدباء والكتّاب والشعراء، والأطباء والحكماء والألباء والعقلاء، وأصحاب النحل والبدع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد وليب مفيد" ينظر: الصديقي: الوافي بالوفيات، ج1، ص27.

جعل روزنتال¹ يعتقد بأن استنباط هذا النموذج ضمن الكتابة التاريخية مرتبط بالظروف المحلية والتغيرات التي عرفها العالم الإسلامي وتطور حاجاته وأهدافه.

ثانيا: كتب الطبقات: قبل التفصيل في هذا النوع نرجع على إحدى المفاهيم التي وضعها أحد الباحثين لمصطلح الطبقات:

"يمكن أن نحصل مفهوم الطبقات بأنها كانت تحمل في الأصل مغزى الاستمرارية في صلب أجيال متتابعة غير منقطعة، تحملت مسؤولية رواية مشاهداتها انطلاقا من تجربتها الروحية التاريخية، كي تسلمها للأجيال اللاحقة، فتصبح الطبقة هي المرتبة التي تسند إلى مجموعة من الأشخاص الذين ساهموا في التاريخ الإسلامي، بصفة أو بأخرى، في بلورة مجال من مجالات حضارية تبعا لمقاييس محددة ذات بعد ديني ولغوي أو أدبي أو فني"².

إن كان هذا الدارس حدد هذا المفهوم، فإن هناك غيره من جعل من المفردة مبهمة من حيث المعنى اللغوي وعدم تطابقها مع المعنى الذي استخدم خلال التاريخ الإسلامي في عصوره المشرقة، واعتبر أنها استعملت للمكان بمعنى التساوي وللزمان بمعنى الجيل، وقد تفيد معنى القرن إذ قال الأزهري: "القرن أهل كل مدة كان فيها نبي، أو كان فيها طبقة من أهل العلم" والدليل الحديث الذي فضل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كل جيل يقترب من عصره على الجيل الذي يأتي بعده، "خيركم قرني" يعني أصحابي، ثم الذين يلونهم يعني التابعين، ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين وهكذا³.

وعليه يمكن تحديد مفهوم الطبقة على أنها المجموعة التي تقترن في صفات معينة وتعيش في فترات متزامنة، وتتشرك في صفات علمية أو أدبية أو دينية معينة يميزها الاحتكاك والتأثير والتأثر.

1 - علم التاريخ، مرجع سابق، ص 142/ محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص 143.

2 - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص 145.

3 - محمد الجواد، "كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد: دراسة في الأسانيد"، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 58-59.

وقد استهدفت نشأة وسيرورة نموذج الطبقات خدمة علم الحديث¹، فقد أطلقت الطبقة للدلالة على الرواة المتشابهين من حيث تقاربهم في السن وأخذهم عن نفس الشيوخ، خاصة أن أهمية التمييز بين طبقات الرواة يندرج ضمن نقد الأسانيد ومعرفة ما فيها من إرسال أو انقطاع أو عضل وتدليس، كما أن تشابه الاسماء عند الرواة يفصل فيه تمييز طبقتيهما².

وإن كان هذا التعريف شاملاً، لكل الطبقات التي ساهمت في تشكيل المعارف العامة والكلية التي بنيت عليها الحضارة الإسلامية، إلا أن دقة هذا المفهوم مرتبطة بمراتب العلماء والفقهاء والمحدثين الذين أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده³، وتعتبر طبقة الصحابة أولى الطبقات التي أخذت اهتمام العلماء لارتباطها المباشر بحياته وسيرته، وصلتها الوطيدة برواية الحديث، وتوال الاهتمام بالطبقات الموالية مثل: طبقة التابعين وطبقة تابعيهم وهكذا. وتعد "الطبقات" للواقدي أقدم كتاب في هذا النوع، وعلى منواله قلد ابن سعد أستاذه فألف كتابه "الطبقات الكبرى"⁴.

وقد سارت الكتابة التاريخية على ذلك المنوال من خلال البحث في عدالة الرواة وضبطهم، ومعرفة سلسلة الرواة وبلدانهم وتنقلاتهم وشيوخهم، بغية التمييز بين الأحاديث وترتيبها ومعرفة صحتها من ضعيفها، ويعتبر كتاب "التاريخ الكبير" للبخاري (256هـ/869م) من أقدم الكتب التي وصلتنا رغم أن هناك من سبقه في هذا التصنيف وضاعت مؤلفاته مثل: شعبة بن الحجاج (160هـ/776م)، ويبدو أن

1 - نما التصنيف في علم الجرح والتعديل خلال القرنين 3 و4هـ/9 و10م فبعض المصنفات اختص بالضعفاء والكذابين، وبعضها بالثقات والأثبات، ينظر: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص106.

2 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص385/ محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص142.

3 - اتبع ابن سعد التعريف بالفقهاء والمحدثين والعلماء حسب الطبقات أي أفراد جزء كامل لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم التعريف بطبقة الصحابة حسب سابقيتهم للإسلام: المهاجرين ثم الأنصار، وهؤلاء قسموا إلى طبقات طبقة ممن شهدوا بدرًا، طبقة ممن أسلموا ولم يشهدوا بدرًا... طبقات أهل المدينة من التابعين... طبقات النساء، للمراجعة والتفصيل ينظر: محمد الجواد، كتاب الطبقات الكبير، مرجع سابق، ص57/ محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص142.

4 - النديم، الفهرست، ص11-112/ مصطفى شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، ج1، ص164، 167.

الاهتمام بالرواة انبثق منه " علم الثقات والضعفاء من رواية الحديث¹ وقد صنفت العديد من المؤلفات في هذا المجال منها: كتاب "معرفة الثقات" لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي (261هـ/874م)، وكتاب الثقات لابن حبان السبتي (354هـ/965م)، كتاب الضعفاء والمتروكين لأحمد بن شعيب النسائي (303هـ/915م).

من أشهر كتب الطبقات²:

- الطبقات الكبرى لابن سعد (230هـ/845م)، طبقات خليفة بن خياط (240هـ/854م)، "طبقات" مسلم بن حجاج النيسابوري (261هـ/874م)، "الطبقات في الاسماء المفردة من اسماء العلماء وأصحاب الحديث" لأبي بكر محمد بن هارون بن روح البرديجي (301هـ/913م). ولم تتضمن كتب الطبقات تراجم للمحدثين فحسب، وإنما كان للفقهاء حظ كبير في هذا النوع من المعرفة التاريخية منها: "طبقات أحمد بن حنبل" لأبي بكر الخلال البغدادي (311هـ/923م)³، و"ترتيب المدارك" للقاضي عياض (544هـ/1149م)، و"الدياج المذهب" لابن فرحون المالكي (799هـ/1396م)، وغيرها كثير.

ثالثاً: سير عامة للخلفاء والأمراء والقادة والعلماء (السير المفردة): منذ القرن 2هـ/8م أخذ المسلمون في الاهتمام بالسير العامة الذاتية أو الغيرية، أقدمها "سيرة معاوية وبنو أمية" لعوانة الكلبي (147هـ/764م)⁴، كما ذكرت كتب الفهارس العديد من سير الخلفاء مثل: "سيرة أحمد بن طولون" أحمد بن يوسف الداية، وسيرة عمر بن عبد العزيز لأبن الحكم وابن الجوزي، سيرة المأمون العباسي لمؤلف مجهول، وسيرة محمود الغزنوي لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتيبي (437هـ/1036م) والمسماة

¹ - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، ص134.

² - المرجع نفسه.

³ - يراجع: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 255-256.

⁴ - النديم، الفهرست، ص 103/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص26.

الكتاب "اليمني"¹، وما كتبه فخر الدين الرازي (606هـ/1209م) "الفاخر في أيام الملك الناصر"، أما ابن شداد (632هـ/1236م) فكتب سيرة لصالح الدين الأيوبي بعنوان: "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"². وهناك من المؤلفات التي عنت بسير الخلفاء عموماً منها: "أخبار الخلفاء الكبير" للمدائني البغدادي (225هـ/839م)، "تاريخ الخلفاء" لمحمد بن حبيب النسابة البغدادي (245هـ/859م)³.

أما عن سير العلماء: فقد كتب السخاوي (902هـ/1496م) ترجمة لشيخة ابن حجر، وكتب فخر الدين الرازي سيرة للإمام الشافعي ومناقبه⁴. وكتب آخرون في السير الذاتية خاصة مع أواخر القرن 5هـ/11م وخلال القرن 6هـ/12م منها: ما كتبه أسامة بن منقذ حول سيرته، والسيرة المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي⁵.

رابعاً: سير النخب من الشعراء والأطباء وغيرهم: لم تتوقف التراجم عند العلماء والصحابة ومن تبع آثارهم في نقل العلوم والاهتمام بها، وإنما كتب المسلمون في طبقات الشعراء مثل: كتاب "طبقات الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي⁶، وأشهر نموذج لطبقات الأطباء ما كتبه ابن أبي أصيبعة: "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء"، تاريخ الحكماء للقفطي⁷، وطبقات المغنين للجاحظ (كتبها في فصل ضمن كتابه البيان والتبيين)⁸.

1 - عبد الرحمن الحسين العزاوي، التاريخ والمؤرخون في العراق، ص254/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص29.

2 - محمد جميل محمود بني عطا، مرجع سابق، ص26.

3 - طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص254.

4 - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص30/ محمد جميل عطا، المرجع السابق، ص27.

5 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، ص28.

6 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، ص26.

7 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص27.

8 - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص144.

خامسا: وقد تجتمع هذه التراجم في مؤلفات واحدة تعنى بالتاريخ المحلي، وتسمى: تراجم الرجال المحلية وأشهر هذه الكتب "تاريخ واسط" لأسلم بن سهل المعروف ببخشل (292هـ/904م) و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (463هـ/1020م) و"تاريخ دمشق لابن عساكر (571هـ/1125م)، والملاحظ عليها أن أغلب المترجم لهم رجال حديث، ومع ذلك نجد فيها تراجم متنوعة منها حتى النسائية¹.

سادسا: الفهارس والبرامج والأثبات والمعاجم:

"...وهي كتب يسجل فيها العالم أو يتعهد بذلك غيره ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، وأسانيده إلى مؤلفيها الأوائل، وشيوخه الذين أخذ عنهم، وإجازاته منهم، ورحلاته العلمية التي قام بها إلى مختلف الأقطار لطلب العلم"²

وقد وجد العلماء أن ترتيب التراجم على حروف المعجم عملية تسهل الحصول على سيرة عالم يبحثون عنه، ولذلك علل ابن خلكان اعتماده الترتيب الألف بائي قائلا: "هذا مختصر في التاريخ دعاني إلى جمعه أني كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتاريخ وفياتهم ومواليدهم... ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات كثيرة في سنين عديدة... فاضطرت إلى ترتيبه، فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه، والتزمت تقديم من كان أول اسمه الهمزة..."³.

وهناك نماذج هامة ومتعددة لهذا اللون من التراجم منها: "معجم الشيوخ" لأبي الحسن الصيداوي(ت402هـ/1011م)، "المعجم في مشتهه أسامي المحدثين" لأبي الفضل الهروي(463هـ/1020م)، و"التحبير في المعجم الكبير" لأبي سعد السمعياني (ت562هـ/1166م) "عيون

1 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص101.

2 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22.

3 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر(دت)، م1، ص19-20.

التواريخ" لابن شاکر الکتبی (ت764هـ/1362م) و"شذرات الذهب فی أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي (ت1086هـ/1675م)¹.

سادسا: المناقب: هناك من كتب فی سیر الصوفیة والأولیاء وحاول حفظ سیرهم مثل أبو نعیم الأصبهانی (430هـ/1038م) فی کتابه "حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء"²، وابن حجر (852هـ/1448م) له سیرتان: سیرة السید البدوی وسیرة السید عبد القادر الجیلانی³.

3- أهمية مصادر لكتابة التاريخ الإسلامي:

- تبدو التراجم كأثبت صور التعبير التاريخي، حتى أنها سبقت مبادئ صور التاريخ نفسها منذ أقدم العصور، ولم يرتبط ذلك بالحضارة الإسلامية فحسب بل بأقدم الحضارات⁴.
- اعتماد هذه الكتب على الدقة وفي رواية الأخبار التاريخية، خاصة أن تقتفي أثر رجال الحديث في إثبات صحة الرواية وفي تطبيق منهج الجرح والتعديل على الرواة، كما أنها تتميز بغناها بالمعلومات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية⁵.
- ويبدو أن أهميتها وغناها بالمعلومات السياسية والإدارية، وثرها بمختلف الطوائف والأخبار يتأتى كلما ابتعدت عن تراجم أهل الحديث لابتعادهم عن الروايات التي لا تخدم علم الجرح والتعديل⁶.

1 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية/ نبيلة عبد المنعم داود، فن التراجم، مرجع سابق، ص34.

2 - بيروت: دار الكتب العلمية 1409هـ/1988م، يذكر المؤلف ان هدفه: "...جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم، من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم..." للتفصيل ينظر: ص4.

3 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص24.

4 - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص141.

5 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص100.

6 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص171.

- تعتمد في الغالب على مصادر سابقة لفترة المؤلف وهو ما يعطيها قيمة عالية، خاصة إذا كانت المصادر القديمة مفقودة، فثلاثة أرباع المادة التي حواها "تاريخ بغداد" منقولة من موارد ومصادر سابقة¹.
- من حيث التأريخ للحركة العلمية: "...هذه الكتب على درجة كبيرة من الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي عامة والحركة العلمية والدينية خاصة، حيث تعكس تطورات هذه الحركة وتحديد اتجاهاتها، والوقوف على إنتاجها الثقافي، وبالتالي الكشف عن كل من أسهم في وضع أسس للحضارة الإسلامية، أو شارك في بناء صرحها الشامخ في ميادين الفكر والعلم"²
- "إن أهمية كتب التراجم في دراسة التاريخ الإسلامي كبيرة وشاملة، فإن كانت كتب التراجم تتناول الخلفاء والوزراء والولاة فإنها تلقي الضوء على النظم السياسية والإدارية، وإن كانت تتناول تراجم أرباب العلوم والآداب من نحاة ولغويين وأدباء وحكماء"³
- بالنسبة لكتب الفهارس والتراجم: "...وهذا النوع من المصادر يعرفنا بالكتب التي كانت متداولة بين الناس في عصر من العصور، أو في مصر من الأمصار"⁴، ويعتبر كتاب الفهرست للنديم أشهر هذه الكتب التي ساهمت في إحصاء كل ما أُلّف في ضروب العلم والمعرفة باعتباره وراقا وله اطلاع عليها، وقد قال فيه المستشرق الإيطالي نللينو: "هذا كتاب من أنقى النفائس لا نظير له فيما يتعلق بمعرفة مصنفى العرب وتأليفهم في كل فن في أواخر القرن الرابع للهجرة، ومعرفة ما ترجم إلى العربية من كتب الهند والفرس واليونان والسريان، فتجدون فيه أسماء مئات من الكتاب وتستفيدون منه في أسماء ألوف من التصانيف المفقودة"⁵.

1 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق ص101.

2 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22، 260، 261.

3 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص172.

4 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22.

5 - نقلا عن: عبد الرحمان عميرة، أضواء على البحث والمصادر، ط6، بيروت: دار الجيل (دت)، ص108.